الأدب الرقمي بين افتراض الخصوصية وجدلية التجربة "مقاربة في ضوء نظرية الأدب"

Digital literature between the assumption of privacy and the argument of experience
"An approach in the light of the theory of literature

م.د.علي عواد عبد الله
المديرية العامة للتربية في محافظة نينوى
Dr.aliawad1987@gmail.com

الملخص:
تسعى هذه المقاربة البحثية إلى معاينة الأدب الرقمي (التفاعلي) عبر اشتراطاته الجديدة التي جعلت منه وافداً جديداً على النظرية الأدبية المعاصرة، الذي يراهن على أدواته التعبيرية الجديدة، وتناولت هذه المقاربة (الأدب الرقمي المفهوم وإشكالية المصطلح) التي أثارتها الدراسات النقدية حول مصطلح الأدب الرقمي وما تبعه من مصطلحات أخر، كما تضمنت هذه الدراسة مبحثين اثنين، جاء الأول بعنوان (الأدب الرقمي "استثمار التقنية والتداخل الفني") إذ بحث هذا المبحث في فرضية الاستثمار التقني الذي عملت عليه الآداب الرقمية فضلاً عن إسهام ذلك الاستثمار في الانفتاح على الأنواع الفنية الأخر، أما المبحث الثاني فجاء بعنوان (تفاعلية الأدب الرقمي "مقاربة في ضوء نظرية التلقي") إذا حاول هذا المبحث أن يجسد العلاقة الجدلية بين الأدب الرقمي والقارئ الجديد، وما تمثله هذه العلاقة من فهم للواقع الأدبي الجديد، انطلاقاً من فهم الواقع للأدب الرقمي وموقف النظرية الأدبية من هذا الأدب الذي يسعى إلى المغايرة والاختلاف والتطوير.

الكلمات المفتاحية: (الأدب الرقمي، التقنية، القارئ، الواقع)

Ali Awad Abdullah

General Directorate of Education in Nineveh Governorate/ IRAQ

Keywords: (digital literature, technology, reader, reality).

Dr.aliawad1987@gmail.com

Abstract:

This research approach seeks to examine digital (interactive) literature through its new requirements that made it a newcomer to contemporary literary theory, which bets on its new expressive tools. It was followed by other terms. This study also included two sections, the first titled (Digital Literature "Technology Investment and Artistic Overlap") as this section examined the hypothesis of technical investment that Digital Literature worked on, as well as the contribution of that investment to openness to other artistic genres. As for the second topic, it came under the title (Interactive Digital Literature "An Approach in the Light of Reception Theory") If this topic tried to embody the dialectical relationship between digital literature and the new re…

المدخل:

الأدب الرقمي (المفهوم وإشكالية المصطلح)

تبقى جدلية (الأدب الرقمي) واحدة من أكثر الجدليات الفنية والأسلوبية الحديثة التي شغلت العديد من الباحثين والدارسين في مجال النقد الأدبي الحديث، وتتأتى هذه الموجة على أثر المد الذي اجتاح الحياة العامة وغير كثيراً من مفاهيمها ومعطياتها الفكرية والأسلوبية، وهذا المد التقني والإلكتروني استحث كثيرا من المجالات لتتفاعل معه وتتداخل معه، ولعل الأدب واحداً من أهم تلك الحقول المعرفية والإبداعية التي انفتحت بشكل كبير على الثورة التقنية الحديثة وبدأت تفيد منها وتتداخل معها، الأمر الذي جعلنا إزاء فرضية حقيقية وقارة، وهي التغيير الواضح الذي جعل من بنية الأدب بنية متجددة تتماز كثيرا عن الصورة الذهنية التي تكونت عن الأدب سابقاً، نهدف عبر هذا البحث إلى إبراز أثر ودور استخدام تقنية الآلة مع الأدب، فضلاً عن ضرورة التعرف على أهم العراقيل التي تحول دون الاستخدام الأمثل لهذه التقنية المعاصرة وهي محاولة فعلية لفهم الواقع العالمي الجديد، علما أن معظم الباحثين العرب اعتبروا رواية شات للروائي الأردني محمد سناجلة أول رواية رقمية عربية، فرواية شات عمل إبداعي أدبي ذات أهمية في الساحة الأدبية العربية، ولها

أسبقية في الظهور بالعالم العربي[1]، ثم توالت بعد ذلك العديد من المجالات الإبداعية التي أسهمت في تشكيل مفهوم الأدب الرقمي.

غير أن هذه الأهمية والمساحة الواسعة التي أحدثتها موجة الأدب الرقمي رافقتها إشكالية اصطلاحية كبيرة وهي إشكالية مصطلح الأدب الرقمي وما انجرفَ معه من المصطلحات المشاكلة الأخر التي حاولت أن تعالج فكرة الأدب الرقمي بصفة وظيفية خاصة، فهناك العديد من المصطلحات المغايرة منها الأدب التفاعلي والنص السبيرنطيقي وأدب الصورة والأدب الديجتالي والأدب الإلكتروني والنص المترابط والأدب الآلي والأدب الروبوتي والأدب المبرمج والأدب الحاسوبي والأدب الإعلامي والأدب الويبي والأدب الأنترنيتي والأدب الفيسبوكي وأدب الشاشة[2]، فلكل مصطلح من هذه المصطلحات التي كانت جزءًا مهماً من فوضى المصطلحات للأدب الرقمي دوره الفاعل في تعويم دلالة المفهوم الحقيقي والعمل على تشويه صورة الأدب الذي يتم نشره عبر البرمجيات والآلات الحاسوبية الحديثة عبر استخدام شبكات الانترنيت وإرفاق العديد من الدعامات الفنية إلى جانب النص، مثل الصورة والصوت والوثائق العامة، لكن بطبيعة الحال فإن هذه المصطلحات ظلت مصطلحات خاصة لا ترقى لأن تزيح منافساتها من حلبة الصراع على المفهوم لأنها تعالج المفهوم من زاوية خاصة لا عامة، إلا أننا نميل إلى رأي الدكتور جميل حمداوي في كتابه "الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق" عندما رجّح كفة الأدب الرقمي بوصفه مصطلحاً قاراً وشاملاً لكل ملحقات المفهوم، فمصطلح الأدب الرقمي وفقاً لوجهة نظره "أكثر ارتباطاً بالوسيط الإعلامي ويدل بشكل جلي وواضح على المكونات الأساسية التي تتحكم في المنتج الأدبي والفني والجمالي، ويحيل هذه الأدب أيضاً على ما هو رياضي ولوغارتمي ومنطقي وحسابي ويقوم هذه الأدب كذلك على تحريك المعطى النصي وفق الصوت والصورة والفيديو والإيقاع الزمني انطلاقاً من أرقام ثنائية مزدوجة ويعني هذا أن الأدب الرقمي هو الذي يصنع المعطيات الرياضية والمنطقية بصفة خاصة، وهنا يمكن الحديث عن عوالم رقمية وكائنات رقمية وبيانات رقمية وسياقات رقمية وولادات رقمية وثقافة رقمية، وعلى العموم فالأدب الرقمي هو الذي يعتمد على وسائل الإعلاميات ويجمع بين الحروف وهو ما يزال في مرحلة البناء والإنشاء والتشييد، بمعنى أنه ما يزال أدباً فتياً يترعرع في سياق المحيط الرقمي"[3]، تقودنا هذه التركيبة التي حررها حمداوي إلى الإيمان بأن مصطلح الأدب الرقمي هو أكثر المصطلحات تحقيقاً للحد المفهومي العام، فالأرقام تؤسس بشكل كبير كل معطيات الأدب الرقمي سواء عبر آليات عمله أو أشكاله التركيبية أو سياقاته الفنية.

إن الحديث عن الأدب الرقمي ضمن النظرية الأدبية اليوم يرسم الكثير من علامات الاستفهام تجاه إمكانية دخوله منظومتها المعرفية، انطلاقا من كونه أدبا ناشئا مازال يبحث عن أرضية صلبة يقف عليها إلا أن خصائصه الرقمية المتطورة منحته الكثير من الإبداع الذي ما كان للأدب الورقي أن يحققه؛ لأن دخول الحاسوب وشبكة الويب عالم الأدب خلق نوعا من المتعة الجديدة في الكتابة و التلقي فحققت تلك الخصوصية في المفهوم خصوصية مماثلة في الاصطلاح[4]، عندها أصبحنا نخلص في نهاية الأمر إلى الوقوف بشكل واضح على المفهوم الشامل لمصطلح الأدب الرقمي الذي اكتملت صورته فهو يراد به، "الأدب السردي أو الشعري أو الدرامي الذي يستخدم الإعلاميات في الكتابة والإبداع، أي يستعين بالحاسوب والجهاز الإعلامي من أجل كتابة نص أو مؤلف إبداعي ويعني هذا أن الأدب الرقمي هو الذي يستخدم الواسطة الإعلامية أو جهاز الحاسوب أو الكومبيوتر ويحول النص الأدبي إلى عوالم رقمية وآليات حسابية"[5]، وترتكز أهمية المفهوم الخاص بمصطلح الادب الرقمي في كونه يتعدى حدود الأدب العام ليؤسس لنفسه طاقة تعبيرية خاصة عبر قدرته التفاعلية والتركيبية، وتلتصق به عبر حساسيته المفرطة جملة من السمات الأخرى فهو الأدب المرن الذي يمثل ردة فعل الأدب تجاه التطور التقني والأسلوبي الحياتي، فالأدب رسالة حية ستظل تنهض بواقع الأمم وتتأصل فكرتها من صلب الواقع المعيش، وتتجدد مفاهيمها عبر سياقات التجربة الحياتية المتجددة.

المبحث الأول

الأدب الرقمي "استثمار التقنية والتداخل الفني"

أولا: الأدب الرقمي والقاعدة التقنية

من المعروف أن الثورة التقنية الحديثة أحدثت تطوراً كبيراً في بنية الحياة العامة لا سيما عالم الاتصالات والبرمجيات وشكّلت فيما بعد قاعدة قوية لبقية المعارف والحقول العلمية والإبداعية، فقد ارتبطت هذه التقنيات بسعيها لجعل العالم ينمو ويتواصل بحرية كبيرة وسرعة فائقة، فهي سياسة مرتبطة بالعالم كله تؤمن تواصل الآخرين بعضهم ببعض، فقد أصبح الكون فضاءً مفتوحاً موحداً مما أدى إلى التقارب والتفاهم والتفاعل بين الجميع,[6]، وفتح هذا التقارب التقني المجال أمام الكتاب لاسيما كتاب الأنترنيت إلى التواصل إبداعياً عبر هذا المسار الفاعل، فالقصيدة ستنطلق من فضائها الشفاهي والورقي إلى فضائها الرقمي التكنلوجي الذي يتيح هذه التفاعلية بين الكتاب والأدباء من جهة والقراء من جهة أخرى.

إن جذور التعرف على الأدب الرقمي تعود إلى عام 1968 عندما كتب (مايكل جويس ونصه "بعد الظهر") وفتح النص العديد من التساؤلات الحية التي تتعلق بماهية القصيدة ودرجة التماس والتجاذب مع القارئ والمؤلف على حدٍ سواء وفتحت الآفاق لمعرفة درجة التأثير والتأثر الذي ينتج

بين الأدب بوجه عام والأدب الرقمي بوجه خاص[7]، فضلاً عن ذلك فإن هذه الرؤية الجديدة استطاعت أن تستفز الثوابت الفكرية والتقليدية التي شكك بأطرها المرجعية الوافد الجديد، وعمل على خلق الخلخلة والتصدع في التركيبة المستقرة لنظرية الأنواع الأدبية أو النظرية الأدبية بشكل عام.

انطلاقاً من الفكرة التأسيسية الأخيرة التي جعلت من نظرية الأدب مركزاً للاستهداف فهي محور مهم من محاور التغيير والتبديل الذي يبرهن أن الأدب يتأقلم بشكل أو بآخر مع المعطيات الحياتية الجديدة التي تطرأ عليه، ومن تلك الفوارق الحياتية الجديدة أصبحت التقنيات الحديثة متداخلة جداً مع الآفاق الفكرية الجديدة، فقد أضحت التقنية الرقمية والتكنلوجية الحديثة القوام الحقيقي للحياة اليومية للأفراد وإن اختلفت هذه التقنية من مكان إلى آخر أو من دولة إلى أخرى، وأضحت هذه المعرفة التقنية الحديثة سبباً من أسباب التوجه نحو التطور والتحديث عبر سياقات الإبداع والابتكار سواء في الفكر أو الاقتصاد أو السياسة أو الثقافة أو كل أنماط الحياة اليومية[8]، وانطلاقا من هذه الفكرة المتجددة وطرائق الإفادة الحقيقية منها استطاع الأدب أن يستثمر تلك التقنيات ويزجها في مساند النظرية الأدبية، ويبرهن سعيد يقطين على هذه الإفادة وهذا الاستثمار عبر جدلية العلاقة بين الأدب والتقنية، إذ إن الوسيط التقني الحديث "يستدعي بالضرورة تنظيما آخر للمادة الحكائية يراعي طبيعة هذا الوسيط الذي يختلف عن اللسان والكتاب فكانت التضحية بالخطية لفائدة اللاخطية، ولكي تتحقق هذه اللاخطية البد من استعمال الروابط بين عناصر النص ومكوناته[9]، وعلى هذه الأساس أصبحت العلاقة بين الأدب والوسيط الإلكتروني علاقة الواقع الفعلي الذي فرضته سياقات العالم الحديث، وما تبعه من متغيرات حياتية كثيرة.

كما يمكننا أن نحدد المسارات التي خطها الأدب في مجال التعامل مع آليات الكتابة ، فهي بطبيعة الحال مرت بأكثر من مرحلة من مراحل التكوين والتدوين والتأصيل للتجربة والنظرية الأدبية منذ الأزل، ومن تلك المراحل المهمة[10]:

المرحلة الشفاهية: فقد كان الأدب مستنداً بشكل كبير إلى المناقلة الشفاهية، التي تختزل في الصدور فما يحفظُ قابل للمداولة والانتشار، وما لا يُحفظُ فهو معرض للنسيان والاندثار والتأثر بعوامل فقدان الذاكرة والمحو.

المرحلة الكتابية: وهنا ينبغي أن نشير إلى التطور الذي حصل في مجال الكتابة فقد تطورت الكتابة إلى درجة كبيرة وأصبح الأدب المكتوب رهاناً حقيقياً من رهانات الديمومة التي يحققها الأدب بين الشاعر ومجتمعه، فالكتابة تضمن وصول النص إلى المتلقي رغم تلاحق الأزمان والأعوام.

مرحلة الكتابة الحديثة: وانتهاءً بمرحلة الكتابة ظهرت لدينا مرحلة جديدة وهي مرحلة الكتابة المتطورة ونقصد بالتطوير هنا حجم التغييرات الشكلية التي حصلت في بنية الكتابة منها تغيير الألوان والأحبار وتضمين الصور والتشكيل والبنى التركيبية الأخرى، فقد انسجم الأدب بشكل كبير مع هذا التطور الشكلي للكتابة إلى الدرجة التي جعلت النص مفتاحاً مهماً من مفاتيح النص الحديث، لأنها تساعد في إظهاره وإبرازه وفقاً للرؤية الحديثة التي خلدها الشاعر في نصه.

الكتابة الرقمية: أو ما يعرف بالأدب الرقمي الذي أفاد كثيراً من التطورات التقنية الحديثة التي اجتاحت العالم الحديث، فالأدب ليس بمعزل عن هذه التجربة الحياتية الحديثة بل إنه انعكاس فعلي وحقيقي لك التغييرات التي تطرأ عليها، فأضحى الأدب مجالاً فنياً كبيراً اتسع لكل هذه التغييرات التقنية فانفتحت القصيدة على الصور والوثائق والموسيقا والتشكيل والرسم وغيرها من الفنون الأخرى، وليس على الفنون فحسب بل إنها أضحت طريقة مباشرة للتداخل الفني والأسلوبي في القصيدة.

على أثر هذه التقسيمات التي صنفت الأدب من حيث استيعابه للتقنيات الحديثة نجد أن الأدب الرقمي سجل طابعاً بنائياً مختلفاً عندما أصبحت القصيدة بيئةً تركيبية منوعة انفتحت بشكل كبير على التقنيات الحديثة فضلاً عن انفتاحها على الفنون والأجناس الأدبية الأخرى، حيث ساعدت هذه المساحة التقنية الأدب للوصول إلى الأجناس الفنية والأنواع الأخرى، فالصورة والصوت والنظام المرفقات وتداخل الحوارات والبنى التركيبية الأخرى جعلت من الأدب سياقاً كلياً متكاملاً يقبل بشكل كبير كل التراكيب الفنية والتركيبية والدلالية.

إن ثمة ما يجعل الأدب الرقمي أدباً يتقاطع في شكله ومضمونه عن القوالب الأدبية التقليدية القديمة التي عرفناها من قبل، وهذا التقاطع ينطلق من فرضيتين اثنتين: أما الأولى فتؤسس مساحة من التعاون والإفادة فالأدب الرقمي يفضي إلى نزعة تقنية حديثة تجعل منه أدباً يستثمر كل الإمكانات التقنية والإلكترونية والإعلامية ويفيد من كل المعطيات البرمجية الحديثة في تقديم المحتوى الجمالي الهادف، أما الفرضية الثانية فإنها ليست حديثة كما يجب لكنها أفادت كثيراً من الفرضية الأولى وهي المساحة الكبيرة التي توفرت للأدب الرقمي للتداخل مع الفنون الأخرى والتأسيس للتداخل مع الأجناس الأخرى فالأدب الرقمي حاضنة رئيسة من حواضن الصوتيات والشعر والسيناريو والسينما والتشكيل والمسرح والتصوير وغيرها من الفنون الأخرى التي تتداخل مع المتن الأدبي العام[11]، فضلا عن ذلك فإن الطابع العام للأدب الرقمي يتميز بمرونة كبيرة وفاعلة تجعله ينفتح على الأشكال الأدبية والفنية الأخرى التي تشكل جزءاً مهماً من التعبير الفني، فضلا عن ذلك فإن تجربة الأدب الرقمي تجعله أدباً مرناً ومطواعاً للحياة العامة أكثر من الأدب الكتابي،

فهو يمتلك ردة فعل مباشرة ويتمثل انعكاسه بشكل سريع تجاه الواقع الذي يحيط به، وهذه المرونة تتأتى من طبيعة الأدوات والوسائل التي يستعملها الأديب في ممارسة نشاطه الأدبي، فبدلاً من أن يبحث عن ورقة وقلم ويبدأ بتدوين ما يدور في ذهنه من أفكار إبداعية، فإنه يكتفي بإخراج هاتفه أو حاسوبه الشخصي ويبدأ بتجسيد حالة الإبداع عبر مسارات تشعبية تنقله من الجانب الفردي إلى الجانب الجمعي بسرعة ومرونة كبيرتين.

ثانيا: الأدب الرقمي "الخصوصية والتداخل الفني"

إن النظرية الأدبية الحديثة مرت بتطورات كبيرة جداً بدءاً من الحالات الأولى للتشكل الحقيقي للأدب وانتهاءً بحالة وصولها إلى معطياتها الأخيرة، ولا يمكن القول إن النظرية الأدبية مصطلح مطلق في تطويره فهو نسبي ومتطور ولا يصل إلى مستوى الكمال إنما يستمر في الإفادة والتغيير على مر الحياة أضحت هذه السمة متلازمة مع نظرية الأدب وأبقت المجال مفتوحاً لرفد النظرية بالكثير من التطورات والتغيرات التي تداخلت مع كل الجوانب الفعلية لتلك النظرية، حتى لغتها الخاصة ظلت تمر بمراحل التطور والتغيير والمراوغة مقارنة باللغة البسيطة المستعملة في الخطاب العام[12]، فاللغة الأدبية تتأسس على جوانب متعددة منها الجانب الشكلي الظاهري ومنها الجانب الدلالي والجانب التركيبي والجانب الموضوعي وغيرها من السبل العامة التي تقود إلى كل مفاصل الأدب بصرف النظر عن كونه شعراً أو نثراً.

ومن التغييرات التي يجب أن تؤخذ بنظر العناية والتركيز ما تمرّ به القصيدة والرواية والقصة والأدب بشكل عام ومن دخولها في إفرازات الثورة التقنية العالمية الحديثة التي اجتاحت العالم وجعلت من الأدب حالة إبداعية مرغمة على الاندماج في كل مخرجات التقنية الحديثة، فالتكنلوجيا الحديثة وما تبعها من تطورات تقنية حديثة غيرت من بعض المعطيات الثابتة في مجال الأدب، وأضافت إلى حقل النظرية الأدبية مرحلةً أدائية جديدة سميت فيما بعد بالأدب الرقمي، والأدب الرقمي هو الأدب الذي يستثمر التقنية والتكنلوجيا الحديثة في عرض محتواه الإبداعي على شاشات الحاسوب والهواتف النقالة والتداخل مع الأفكار العلمية الحديثة وإظهار المحتوى بطريقة تسمح للقارئ بالدخول إلى عالم النص بشكل أكبر، وهذا الأمر قاد بشكل طبيعي إلى تقريب المسافة بين القارئ والنص بشكل فعلي، وهذه جزئية جديدة في نظرية الأدب، فالأديب الذي يكتب الأدب الرقمي، أصبح يرى الآراء تتوافد إلى نصه بشكل مباشر عبر مسارات فكرية مختلفة، ففتح ذلك

المجال للعبور إلى مساحة القارئ وتحسس مدى استيعابه للنصوص من جهة، ونوعية هذا القارئ وتنوعه من جهة أخرى.

كما يمكن القول إن الخوض في غمار الأدب الرقمي تجربة تتصل بشكلٍ مباشر بثنائية الثابت والمتحول فالأدب هنا ينطلق من قاعدة علاقات تغاير بشكل أو بآخر النطاق العام الذي تراكمت عليه النظرية الأدبية على مدار العصور الماضية، وهو يثير بشكل مباشر عددا من التساؤلات الوجودية التي تتعلق بهيكلية الأدب وأطرافه التكوينية الحية فهو استفزازات متواصلة لـ"شكل التفكير السائد، يطرحها واقع لا شك أنه يقترح رؤى جديدة تعبر عن حالة انتقالية لمعنى الوجود ومنطلق التفكير الذي يستوجب منا الوقوف أولا عند مفهوماته المتعددة وثانياً البحث في مجال هندسة النص الرقمي ضمن إطار الاستراتيجيات التواصلية لرصد المقصدية من تقنيات النص الحديث"[13]، وهذا الأمر يبرهن بشكل أساس على درجة تقبل الأدب للفنون والأنواع الأدبية الأخرى، فهنا تترتب علاقة مهمة من علاقة النص بغيره من السمات الفنية المتلازمة معه.

إن التقنيات والتكنلوجيا الحديثة أفادت الأدبَ كثيراً عندما وسعت مساحة التداخل الفني والنوعي بين الأجناس الأدبية بشكل خاص والأنواع الفنية بشكل عام، فضلاً عن ذلك فإن الأدب شكّل مع التقنيات والتكنلوجيا الحديثة طابعاً تعبيرياً متطوراً عندما أصبحت أسلوبية معالجة الأفكار مقنعةً جداً ووافية جداً لأنها تقترن بعامل التنويع والتشكيل بشكل كبير، وتكمن أهمية التكنلوجياً في الأدب عبر فتح آفاقه ومناطق إثارته بشكل أكبر من الأدب الورقي أو الكتابي، فالتكنلوجياً أعطت الضوء الأخضر للوثائقية والتشكيلية والفنون المرئية الأخرى من التداخل مع بنية القصيدة فأصبح المجال متاحاً للمسرح والتشكيل والتصوير والشعر وأصبحت فكرة توظيف الكولاج السينمائي أكثر إمكانيةً، ويرجع السبب الرئيس إلى كون هذه المخرجات والأجناس الفنية تتأقلم بشكل مباشر مع الأبعاد التكنلوجية والتقنية فهي تتيح لها التوغل مع الأبعاد النصية وتحاول إظهارها ضمن النطاق التقني الفكري المباشر.

المبحث الثاني

تفاعلية الأدب الرقمي "مقاربة في ضوء نظرية التلقي"

لعل السمة الرئيسة التي يتفق عليها أكثر المختصين في مجال النقد الأدبي والفني هو أن الأدب الرقمي أحدثَ قفزةً نوعية في مجال القراءة والتلقي والأدب التفاعلي يراهن بشكل جدي "على العلاقة التفاعلية الداخلية (العلاقة بين الروابط النصية) والعلاقة التفاعلية الخارجية (الجمع بين المبدع

والمتلقي) أي أن الأدب التفاعلي هو الذي يجمع بين نشاط الكاتب أو السارد ونشاط المتلقي"[14]، ويكشف هذا الأمر جدلية العلاقة بين النص من جهة والقارئ من جهةٍ أخرى، فضلاً عن ذلك فإن لفظة التفاعلية متأتية من تلك العلاقة المفترضة بين المتلقي من جهة والنص من جهة ثانية.

كما أن التسمية الموازية للأدب الرقمي هي (الأدب التفاعلي) ولعل هذه التسمية منحدرة من حقيقة التفاعل بين النص والقارئ، فالأدب التفاعلي مصطلح يعمل على الاشتغال النوعي للقراءة التفاعلية بوصفها إجراءً رقمياً تتحقق عبرها رقمنة النص بين الراصد والنص على مستوى التصفح والتلقي والتقبّل، الذي ابتكره إبسن أنارسيث في نظريته (آفاق الأدب التفاعلي) يوظف خصوصاً المعطيات التي يتيحها نظام النص المتفرع في إنتاج النص الأدبي، منها العناصر التفاعلية الآتية: الصورة الصوت الحركة[15]، ومن هذا الأساس الدلالي والمفهومي تأتى مصطلح الأدب التفاعلي الذي يشير بشكل صريح إلى دلالة التفاعل بين النص والقارئ على وجه التحديد.

وإذا عدنا إلى الوراء سنجد أن الدور الذي يلعبه القارئ على امتداد سيرورته في النظرية الأدبية مرّ بمراحلَ مختلفة ومتطورة بدءًا من العلاقة غير الودية التي فرضتها المناهج السياقية بين النص والقارئ، ثم المناهج النصية أو النسقية التي استطاعت أن تقصي المؤلف وتعيد النظر بعلاقة النص بالقارئ، ومن ثم بمناهج القراءة والتلقي التي فسحت المجال أمام القارئ ليكون هو جزءاً من عملية الإبداع الفعلي عندما تراهن العملية الإبداعية على الدور الذي يلعبه القارئ عندما يسهم في إعادة إنتاج المعنى، فكانت تلك العلاقة المتطورة بين النص والقارئ محل بحث ودرس العديد من الدارسين والكتاب والنقاد، وهذا الفهم المسلم به هو جزء من نظرية الأدب التي كونت لدينا صورة ذهنية كلية، فالمناهج وتطورات بنية الأدب جزء فعلي من تلك النظرية.

غير أن الأدب الرقمي استطاع أن يحدثَ فارقاً كبيراً في تلك المسلمات القارة في نظرية الأدب، فبعد أن تطور ذلك الدور والمهم للقارئ، أصبح الأدب الرقمي يتيح للقارئ التفاعل بشكل مباشر وفعلي مع النص والكاتب على حد سواء، فقد أصبحت الأدوار التي يلعبها القارئ ويتعامل فيها مع النصوص متطورة جداً وأصبحنا اليوم "متجاوزين الفكرة السائدة بأن المتلقي هو القارئ فقط، فإذا كان هذا المفهوم مناسباً مغاير يعتمد على لعصر القراءة فإنه لا يتناسب تماماً مع عصر مغاير يعتمد على آليات جديدة مفارقة إلى حد كبير للآليات القديمة، لذا فإن مجال الكومبيوتر وتطبيقاته وشبكة الأنترنيت تخلق متلقياً جديدا» ، تنتمي فيه أشكال أخرى للتلقي"[16] هذه المرحلة للأدب الرقمي لا سيما فيما يتعلق بالقراءة عدت مرحلة تطورية مهمة فمجال نظرية الأدب التي تشتمل بطابع الحال على نظرية القراءة والتلقي فهي مرحلة انتقال "النص من حاضرة الورق إلى حاضرة الشاشة حيث استحضار المساحة الرقمية واللغة البرمجية والتفاعل الوظيفي"[17]، وهي مرحلة مكللة

بالإثارة والتفاعل بين أركان العملية الإبداعية مؤلفاً ونصاً وقارئاً، فضلاً عن تفعيل الجانب الدلالي والفكري للنصوص الأدبية.

إن الكاتب أو الأديب الذي يجسد تجربته الإبداعية عبر مسارها الرقمي نجده يوظف التقنيات الحديثة في الترويج لذلك الأدب وهذا يعني أنه يكتبه عبر حاسوبه أو هاتفه النقال، ثم يبادر إلى نشره عبر مواقعه الشخصية، وعلى هذا الأساس ووفقا لمعطيات التكنلوجيا الحديثة فإن هذا المجال الذي يوظفه الكاتب للنشر يتيح للقارئ التداخل مع الأفكار بشكل مباشر، ولذلك نجد الآراء ووجهات النظر ماثلة في التعليقات والردود الموجودة أسف المنشور، وبهذا فإن الكاتب يتعايش بشكل مباشر مع الناقد ويتداخل معه عبر مسارات الأدب الرقمي، وهذا الأمر لا خلاف فيه بين كل النقاد.

ومن الواضح في مكان أن النص الرقمي ينبني أساسا على تقنية التفاعل المشترك بين الأطراف المترابطة داخل الشبكة، فالنص المترابط "مع ظهور النشر الإلكتروني أصبح في إمكان القارئ الاستفادة من أهم منتجات العصر ليدخل منعطفا جديدًا في التفاعل مع النصوص، وهو تفاعل قائم أساسا على الاعتماد على الإمكانيات والقدرات الجديدة لتلقي النص المتشعب وهو نص يتميز بقدرات واسعة، ومساحة لا محدودة، ووسائط متعددة، وفضاء كبير، وهي مواصفات أنتجت طفرة في مجال التواصل التفاعلي، لذلك يمكن اعتبار التفاعلية واحدة من أهم خصائص النص المتشعب، حيث تقوم بين النص المتشعب وقارئه علاقة تناظرية وغير أحادية، معنى ذلك أن عملية التواصل لا تكون في اتجاه واحد، وإنما في اتجاهين، فخلافا للنص الورقي التقليدي، هناك تفاعل حقيقي بين النص المتشعب وقارئه الذي يستطيع على سبيل المثال، أن يخط لنفسه طريقا خاصا في قراءة الوثيقة المقروءة، يمكنه استبعاد قسم من النص، أو عدم مشاهدة مشهد ما، كما يمكنه الذهاب إلى رأسا ما يعتبره أساسيا وبالتالي إسقاط جانب من الجوانب"[18]، هذه الحرية لم توفرها الآداب الكتابية التي توثق الحالة القرائية وتستلزم التوقف عن التغير في وجهات النظر وتقتضي نمطا قرائياً معينا.

ومن المنطقي في مكان الايمان بأن التجربة القرائية للأدب الرقمي مثلما لها محاسن تتعلق بزمن الردود وثباتها وظهورها المباشر فإنها تتأثر ببعض المآخذ والإخفاقات أيضا، فالنقد الذي يوجه للكاتب الرقمي لا سيما في مواقع التواصل الاجتماعي يوصف بأنه ميال للانطباعية والسطحية، هذا من جانب، ويبتعد بحكم ضيق مجال الكتابة إلى الاختزال والتكثيف دون الخوض بكل تفاصيل النص، ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى أمرين الاول والأهم هو أن الكتّاب الذين يتصدون للأدب الرقمي بالنقد وإبداء الرأي ليسوا من أهل الاختصاص بالضرورة، فالتعليقات وردود الفعل تتوقف على طبيعة قائمة الاصدقاء التي تتنوع وتتغير من شخص إلى آخر ومن مجال إلى آخر، والأمر الثاني هو دخول الأبعاد الشخصية والذاتية في النقد، وهذا يعني أن النقد في الأدب الرقمي قد يخرج

عن مفهومه الحقيقي عندما يستلزم وجود مهنية ورصانة في إبداء الرأي بمنتهى الدقة والأمانة، غير أن جوانبَ كثيرة قد تدخل في التقييم الأدائي للنصوص الأدبية والفنية عموماً ومن هنا أصبح الأدب الرقمي نشطاً جداً في مجاله الإبداعي لكنه متطفل في جانبه النقدي لأنه سيقبل بكل الأحوال كل التجارب النقدية الناضجة وغير الناضجة ليضع النص أمام كل الاحتمالات النقدية التي من الممكن أن تثق به أو أن تقوض من مساحة وجوده.

إن فاعلية الأدب الرقمي من حيث القارئ استمرت في تزايدها الكبير، فالأدب الرقمي يراهن مثلما ذكرنا على القارئ في كونه جزءاً من التجربة الإبداعية والفكرية التي تحيط بالأديب، بل يذهب آخرون إلى أبعد من ذلك عندما يجعلون الكاتب أو الأديب يتأسس بالناقد أو القارئ، فمن خلال الناقد المتجدد الذي يظهر في كل الأوقات والأشكال، نجد الكاتب يحقق توازياً واضحاً مع سياسة القراءة ويحاول أن يجدد نصه ويبرهن على سلامته من الأخطاء والملابسات النصية بوصفه نصاً قابلا للتغيير والتبديل والتلميع في أي وقت شاء، فالنص هنا ليس توثيقياً بالمعنى الدقيق يقبل فكرة التطوير والتعبير المستمرة على الدوام، فضلاً عن ذلك فإن النص لا سيما النصوص التي تُنشر في المواقع التواصل الاجتماعي فإنها نصوص تمزج عادةً بسيل من السياقات الأخرى التي يرفقها الكتاب مثل الموسيقا والصور والحالات الشعورية الأخرى التي تشكل جزءاً مهماً من سيكولوجيا النص، وهذا بحد ذاته انكشاف حقيقي وفعلي للنص وقابلية تقنية يمكن أن تضاف إلى الإمكانية النصية التي توظفها الفكرة داخل بنية النص.

في ختام القول يمكننا الحديث عن تجربة فريدة يسجلها الأدب الرقمي في النظرية الأدبية المعاصرة، ولا سيما في جدليات القراءة والتلقي التي حددت بشكل كبير معطيات المؤلف والنص والقارئ وفسحت المجال أمام القارئ ليبدي رأيه بحرية كبيرة ويراهن على إعادة إنتاج الدلالة، لكن ظلت تلك الحرية تدور في مجال محدود ولم يستطع القارئ تأمين ديمومة الاتصال مع النص عبر مسارات تقنية وتكنلوجية حديثة، وهذه هي الصبغة الجديدة التي أضفاها الأدب الرقمي على نظريات القراءة والتلقي فالأدب الرقمي "أصبح تجربة مهمة في تجاوز الذات والرؤية السلطوية لمفهوم النص إلى النظر في فعالية المتلقي / الآخر بفعل الاستغلال الايجابي لشروط التقنية والمعلوماتية، الذي يسمح بالإبداع في الثقافة الرقمية، لأنه مصطلح تتحقق فيه المفاهيم الآتية: إنه مفهوم يشتغل على السؤال الثقافي بل الحضاري الراهن، من خلال الاهتمام بالتحولات التي تطرأ على مستوى الفرد والذات والحرية والممارسة التكنولوجية ذات العلاقة بمعنى الوجود، عن طريق إعادة طرح الأسئلة وجعلها مواكبة لتجربة الزمن التكنولوجي، إنه مفهوم يطرح وضعية جديدة لمصطلح الجنس الأدبي، من خلال تحولاته المتعددة، التي أضحت تؤسس لمفاهيم نظرية جديدة تقتضي مواكبة نقدية جديدة

أيضا، حيث التفاعل النصوصي بين السردي والمحكي وبين الروائي والتخييلي، إنه تحول عميق في الرؤية إلى العالم بل إلى الوجود، من ثم فهو تشكل جديد لمفهوم الذات داخل التجربة التكنولوجية عبر تجربة جديدة في القراءة والإنتاج بل الإبداع في ضوء خصوبة الحرية المتاحة"[19]، وعلى هذا الأساس كله نجد الأدب الرقمي مصطلحاً يقود إلى مفهوم مرن جداً استطاع أن يتأقلم مع الانعكاسات الحادة التي يعيشها العالم الحديث الذي استيقظ على عصر التكنلوجيا الحديثة والبرمجيات الحديثة، فهو بلا شكل فهم لمتغيرات هذا العالم وتجسدٌ فني فاعل لكل متغيراته الشكلية والمضمونية، وليس ثمة من شك في أن الأدب الرقمي يمثل حلقة مهمة من حلقات النظرية الأدبية المعاصرة التي تتشكل ضمن مسار تطوري متجدد يبحث عن صور تجدد العالم ليكون الأدب أول صور ذلك التغيير وأفضل معبر عن البعد الإنساني ومتغيراته الحياتية الكثيرة، وليس ثمة من شك في أنه الأدب الرقمي يمثل مرونة كبيرة من مرونات الأدب تجاه العالم الحديثة ومتغيراته وسياقاته الجديدة.

النتائج:

استطاع الأدب الرقمي أن يحوز لنفسه خصوصيةً اصطلاحية ومفهومية عبر تجلياته واشتراطات عمله في المجال الإبداعي، فهو يمثل مرحلة مهمة ومتطورة من مراحل التطور الأدبي الذي يضاف إلى حلقات تطوره عبر منظومة النظرية الأدبية.

إن الأدب الرقمي استجابة ذكية جداً للعالم الحديثة الذي يراهن على التقنيات والبرمجيات الحديثة، وهو اندماج وفهم إيجابي لذلك الواقع الذي قطع أشواطاً كبيرة في التطور المعرفي والميداني على المستويين الشكلي والمضموني.

يحرص الأدب الرقمي على حالة التعشيق مع الواقع العام عبر فاعلية المرونة الأدبية التي يتمتع بها، فهو أدب ينماز بردة فعل إيجابية وسريعة تجاه متغيرات الواقع الفعلي الذي يتسم بالسرعة والتبدل والتغير، وتتأتى تلك المرونة من طبيعة الأدوات والوسائل التعبيرية التي يوظفها الأدب الرقمي في خدمة أفكار مبدعيه.

يتأقلم الأدب الرقمي مع فكرة العولمة التي تحاول أن تقدم العالم في إطار مشترك عام، فهو ينفتح بشكل كبير على مختلف الأجناس الأدبية والأنواع الفنية الأخر، فضلاً عن ذلك فإنه يسند نفسه كثيراً على تكاملية المحتوى عبر تدعيمه بأساليبَ فنية متنوعة.

يبقى التعويل الذي يشغله الأدب الرقمي تجاه القارئ والمتلقي كبيراً جداً عندما وسّع من دائرة حضوره في العملية الإبداعية، فالقارئ في هذا النوع من الآداب، يتمتع بسلطة قوية جداً تجعله

يلعب دوراً مهماً في تلقي النصوص ومحاولة المشاركة في تلقيحها بالأفكار والمرجعيات والسياقات الخاصة، كما أنه يبرهن على دوره عبر مرونة المراجعة والتدقيق والتمحيص والحذف والإضافة والتقليب والتعقيب، فهي مميزات متعددة أفردها الأدب الرقمي للمتلقي بفضل وسائله التعبيرية الحديثة.

الهوامش:

(1) الأدب الرقمي من النص إلى الوسيط، زكية مهنى، مجلة الأثر، الجزائر، العدد 26، 2016: 20.

(2) ينظر: النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، سعيد يقطين، المركز القافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الاولى ،2008 :22، و الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق "نحو المقاربة الوسائطية"، جميل حمداوي، مجلة اتحاد كتاب الإنترنيت المغاربة، 2016 :8.

(3) الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق "نحو المقاربة الوسائطية"، جميل حمداوي: 5.

(4) الأدب التفاعلي وفلسفات ما بعد الحداثة "قراءة في المرجعيات"، الشريف حبيلة، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد (13 – 12) 2004، جامعة الحاج لخضر: 85.

(5)الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق "نحو المقاربة الوسائطية"، جميل حمداوي: 11.

(6) تجليات التهميش والعنف في الفضاء الرقمي، خلوط مولود، مجلة الصورة والاتصال، المجلد 7، العدد الثاني، 2008، جامعة سكيكدة: 26.

(7) جماليات البلاغة الرقمية في نص الوسائل الحديثة "الرواية بين الورقي والرقمي أنموذجا"، السيد نجم، مجلة فكر العربية، العدد الثالث، 2016: 31.

(8) جماليات البلاغة الرقمية في نص الوسائل الحديثة "الرواية بين الورقي والرقمي أنموذجا"، السيد نجم، مجلة فكر العربية، العدد الثالث، 2016: 31.

(9) النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، سعيد يقطين، المركز القافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الاولى ،2008 :70.

(10) مراحل الأدب (شفوي – كتابي – رقمي)، بداك شبحة، بحوث جامعة الجزائر، العدد الثامن: 417، 418.

(11) يُنظر: الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق "نحو المقاربة الوسائطية"، جميل حمداوي: 7.

(12) نظرية الأدب، رنيه وليك وأوستن وآرن، ترجمة: عادل سلامة، دار المريخ للنشر، الرياض، 1992: 35.

(13) أسئلة الأدب الرقمي بين الوجود والتجاوز، زيتون زوليخة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد (37)، 2017، جامعة باتنة: 129.

(14) الأدب الإلكتروني وسجالات النقد المعاصر، فايزة يخلف، مجلة المخبر (أبحاث في اللغة والأدب الجزائري)، العدد التاسع، جامعة بسكرة، الجزائر، 2013: 102.

(15) أسئلة الأدب الرقمي بين الوجود والتجاوز، زيتون زوليخة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد (37)، 2017، جامعة باتنة:133.

(16) نص جديد ومتلقٍ مغاير "قراءة في الملامح الجديدة للكتابة والتلقي"، مصطفى الضبع، مؤتمر أدباء مصر في الأقاليم، بورسعيد، مصر، 2005 : 12.

(17) أسئلة الأدب الرقمي بين الوجود والتجاوز، زيتون زوليخة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد (37)، 2017، جامعة باتنة:146.

(18) النص الرقمي وإبدالات النقل المعرفي، كتاب الرافد، العدد (89)، الشارقة الإمارات العربية المتحدة، 2015: 57.

(19) أسئلة الأدب الرقمي بين الوجود والتجاوز، زيتون زوليخة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد (37)، 2017، جامعة باتنة:152، 153.

مصادر الدراسة:

الأدب الإلكتروني وسجالات النقد المعاصر، فايزة يخلف، مجلة المخبر (أبحاث في اللغة والأدب الجزائري)، العدد التاسع، جامعة بسكرة، الجزائر، 2013.
الأدب التفاعلي وفلسفات ما بعد الحداثة "قراءة في المرجعيات"، الشريف حبيلة، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد (13 – 12) 2004، جامعة الحاج لخضر.
الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق "نحو المقاربة الوسائطية"، جميل حمداوي.
الأدب الرقمي من النص إلى الوسيط، زكية مهنى، مجلة الأثر، الجزائر، العدد 26، 2016.
أسئلة الأدب الرقمي بين الوجود والتجاوز، زيتون زوليخة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد (37)، 2017، جامعة باتنة.
تجليات التهميش والعنف في الفضاء الرقمي، خلوط مولود، مجلة الصورة والاتصال، المجلد 7، العدد الثاني، 2008، جامعة سكيكدة.
جماليات البلاغة الرقمية في نص الوسائل الحديثة "الرواية بين الورقي والرقمي أنموذجا"، السيد نجم، مجلة فكر العربية، العدد الثالث، 2016.
مراحل الأدب (شفوي – كتابي – رقمي)، بداك شبحة، بحوث جامعة الجزائر، العدد الثامن.
النص الرقمي وإبدالات النقل المعرفي، كتاب الرافد، العدد (89)، الشارقة الإمارات العربية المتحدة، 2015.
نص جديد ومتلقٍ مغاير "قراءة في الملامح الجديدة للكتابة والتلقي"، مصطفى الضبع، مؤتمر أدباء مصر في الأقاليم، بورسعيد، مصر، 2005.
النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، سعيد يقطين، المركز القافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الاولى ،2008.
نظرية الأدب، رنيه وليك وأوستن وآرن، ترجمة: عادل سلامة، دار المريخ للنشر، الرياض، 1992.